

المحاضرة الرابعة:الاتجاه التجديدي في النقد جماعة الديوان

1/تمهيد:

أطلقت هذه التسمية(الديوانيين) على التيار التجديدي، الذي قاده ثلاثة شعراء نقاد وهم: عبد الرحمان شكري وإبراهيم عبد القادر المازني، وعباس محمود العقاد، و(الديوان) كتاب ألفه العقاد والمازني سنة 1921، وظهر في جزأين. كما نشير هنا إلى أن شكري لم يشارك في هذا الكتاب بل على العكس من ذلك، فقد تناول المازني شكري بالنقد اللاذع، وهذا لا يعد كافيا لا يتناسب شكري لجماعة الديوان، كما يرى (بدوي طبانة)⁽¹⁾.

وجماعة الديوان أو الديوانيين هي حركة تجديدية في الشعر العربي، ظهرت في النصف الأول من القرن العشرين، نظم أعضاء ثلاثة قد سبق ذكرها وكلمة ديوان تعود إلى كاتب (الديوان في الأدب والنقد)، الذي يعد سلسلة أجزاء أدبية ونقدية من وضع الأدبيين المازني والعقاد، الذي صدر منه جزأين، إذ أن من أهدافه هدم كل الأصنام الأدبية المعروفة في ذلك العصر وعلى رأسها أحمد شوقي.⁽²⁾

2:المنطلقات الرومانسية الغربية لجماعة الديوان:

لقد تأثرت جماعة الديوان بالرومانسية الانجليزية، وهذا راجع إلى تفاهم العميقة في الآداب الانجليزية وغيرها من الآداب الغربية، وهذا التأثير يكمن في الروح والنظرة إلى الحياة، وفي الموقف من الشعراء الذين سبقوهم مباشرة.

و ما يؤكد هذا هو اعتراف جماعة الديوان أنفسهم بهذا التأثير، فقد أشار العقاد إلى ذلك في كلام كثير الصراحة والوضوح، ولكنه لم يكن متأثر تقليد وفناء وإنما كان لتشابهه في «المزاج واتجاه العصر كله، ولم يكن تشابه التقليد والفناء»⁽³⁾، وقد اطلع أفراد جماعة الديوان في هذا الإطار على أعلام المدرسة الغالبة على الفكر الانجليزي الأمريكي بين أواخر ق 18 وبداية ق 19، وهذه المدرسة كانت تعرف بمدرسة " النبوءة والمجاز" وتضم أعلاما منهم كاريل وجون ستيوارت ميل، وشيلي، بيرون ووردزورث ...⁽⁴⁾ وكان هذا التأثير تمثل في الروح لا في الأفكار، وأن الشعر ينبع من صاحبه، وهذا التأثير بمثابة الفتح الجديد للأدب العربي الحديث بعامة.

3:القضايا النقدية لجماعة الديوان: كثيرة، نذكر منها:

3.1/موقف جماعة الديوان من جيل شوقي:

وقفت جماعة الديوان من شوقي وحافظ وغيرهما من المعاصرين وقفة شعراء الرومانسية الانجليزية من شعراء "الكلاسيكية الجديدة"، حيث رأت أن شعرهم ضرب من

(1) ينظر، محمد مصايف، جماعة الديوان في النقد، ص 45.

(2) ينظر، محمد أحمد ربيع، في تاريخ الأدب العربي الحديث، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، ط 2، 2006، ص 81.

(3) ينظر، محمد مصايف جماعة الديوان في النقد، ص 70.

(4) ينظر، عمر الدسوقي، في الأدب الحديث، ج2، ص 253.

التقليد ونوع من التحجر في العبارات والقوالب، وهذا أدى بها إلى رفض معظم هذا الشعر، وفضلت العودة إلى الشعر الجاهلي والإسلامي، لأنه شعر مطبوع، ويتسم بالصدق في التعبير عن العواطف(5).

هذا وقد عبر محمد مندور عن الفرق بين جماعة الديوان وجيل شوقي وحافظ في اللغة والمضامين في قوله: «حينما كان شعراء جيل شوقي يعبرون عن الأفكار الجديدة وأحداث العصر في لغة شعرية تليدة، عبر أفراد جماعة الديوان عن نفوسهم، وفي لغة لم يشترطوا فيها أكثر من السلامة والصحة في القواعد، ولم يفرقوا في المعجم الشعري بين الكلمات المبتذلة وغير المبتذلة، أو الشريفة وغير الشريفة»(6).

2.3/ مفهوم الشعر:

من مظاهر تأثر جماعة الديوان بالرومانسية الانجليزية تحديد جوهر الشعر أو مفهومه، فهم ينظرون إلى أن الشعر انعكاس لما في النفس من مشاعر وأحاسيس، وهذا ما نلمسه في كلام الناقد الانجليزي وردزورث «إن الشعر انسياب تلقائي للمشاعر القوية، وأنه يصدر عن العواطف التي تستعاد في حالة سكونية وهناك يتم نوع من التأمل في هذه المشاعر التي تختفي في تلك السكونية بالتدرج، وتحل مكانها عاطفة قريبة من تلك العواطف الأولى التي كانت موجودة قبل عملية التأمل هذه، حيث تحتل العاطفة الأخيرة الذهن بالفعل، وفي مثل تلك الحالة تبدأ كتابة الشعر العظيم عادة»(7).

فالشعر في نظر جماعة الديوان كما هو في نظر الرومانسيين الانجليز تعبيراً عن النفس ومشاعرها، وهذه أبرز قضية في مذهب جماعة الديوان. هذا وقد ألح "وليم هازيلت" الذي يعده العقاد إمام مدرستهم على هذا المعنى، وبين أن الشعر لا يكون في آخره إلا تعبير عن النفس، وذلك في قوله: «إن اصدق تعريف يمكن أن يعرف به الشعر هو إنه الصورة الطبيعية لأي غرض أو حادثة، فإن قوته تولد الخيال والعاطفة حركة غير إرادية، وتبعث رخامية في الأصوات المعبر عنها»(8).

3.3/ وظيفة الشعر:

القضية الثالثة التي تأثرت بها جماعة الديوان بالمدرسة الانجليزية هي قضية "وظيفة الشعر"، فالرومانسية الانجليزية قد حددت للشعر هدفين هما: توفير المتعة للمتلقي عن طريق اشراكه في المتعة الوجدانية التي تحس بها الشاعر، والثاني الكشف عن الحقيقة في أعماق صورها وأتمها، لأن الاطلاع على هذه الحقيقة هو أساس المتعة للشعر في مذهب

(5) ينظر، محمد مصاييف جماعة الديوان في النقد، ص 71، 72.

(6) ينظر، محمد مصاييف جماعة الديوان في النقد، ص 72.

(7) إبراهيم الحايي، حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1984، ص58.

(8) محمد مصاييف، جماعة الديوان في النقد، ص75.

الرومانسية، وقد قال وردزورث في كلامه عن الشاعر، أنه « حين يغني أغنية ينظر إليه فيها كل بني بشر إنما يكون بحضرة الحقيقة»⁽⁹⁾.

و هذه هي وظيفة الشعر عند الرومانسيين، هي بحث عن الحقيقة والتعبير عنها بصورة ممتعة، وهذا ما نلمسه في إلحاح جماعة الديوان على هذه الوظيفة، وقد قال شكري «إن وظيفة الشاعر في الإبانة عن الصلات التي تربط أعضاء الوجود ومظاهره والشعر يرجع إلى التأليف بين الحقائق، وهكذا فجماعة الديوان تتفق مع الرومانسية الانجليزية في أن الهدف الأساسي للشعر هو الكشف عن الحقيقة وتوفير المتعة الفنية للقارئ عن طريق التعبير المناسب عن هذه الحقيقة والمنكشفة»⁽¹⁰⁾.

و قد كان المازني أكثر واقعية في تحديده لأهداف الشعر، إذ يرى أن للشعر غايات معينة تتلخص في إسقاط المشاعر والحواس وفي تدريب القارئ على التدبر في شؤون الحياة والكون، وعليه فوظيفة الشعر ووظيفة سامية لا يقوم بها إلا شاعر كبير له قدرة خاصة على الإدراك والتمييز، لذا صنف الشاعر عند جماعة الديوان والرومانسية الانجليزية في زمرة المشرعين والمتنبئين كما عبر شيلي والمازني⁽¹¹⁾.

4.3. الخيال:

يظهر كذلك تأثر جماعة الديوان بالرومانسية الانجليزية في قضية الخيال فقد قال هازليت «إن الشعر هو اللغة الدقيقة للخيال، والخيال هو تلك الملكة التي تمثل الأشياء، لا كما هي في ذاتها ولكن كما تشكل بأفكار ومشاعر أخرى متباينة»⁽¹²⁾. مثلما أشار (شيلي) إلى ذلك بان الشعر بوجه عام بأنه تعبير عن الخيال، وهذا ما يؤكد العقاد في النظر إلى الدنيا لن يتسع ولن يتضح ولن يكمل إلا بخيال كبير يستوعب ما يراه، ويقيس ما غاب على محاضر، وما يمكن على ما أمكن، وما يتمخض عنه المستقبل على ما ورد في ألفاف الزمان.

وهنا نلمس تشابها كبيرا بين ما قاله هازليت وما قاله العقاد، فكلاهما يتكلم عن وظيفة الخيال، وفعاليتها في الكشف عن الخفي من الأشياء والعلائق. ولشكري كلام كثير عن الخيال لا يزوج عن كلام هازليت وشيلي والعقاد.

5.3 مفهوم النقد: وهي من القضايا المهمة التي اهتم بها جماعة الديوان، إذ وقفوا من ذلك موقفا متطورا، برز في مفهوم العقاد له، يقول «هو التمييز، والتمييز لا يكون إلا بمزية، والبيئة نفسها تعلمنا في النقد والانتقاء حين تغضى عن كل ما تشابه وتشرع إلى تخليد كل مزية تتجم في نوع من الأنواع، سواء نظرنا إلى الغرائز التي ركبتها في مزاج الأنثى وإلى الغرائز التي ركبتها في مزاج الفنان وهذان هما المزاجان الموكلان بالإنتاج والتخليد في عالمي الأجسام والمعاني، فإننا نجد الوجهة في هذا أو في ذاك واحدة، والغرض هنا هناك

(9) محمد مصاييف، جماعة الديوان في النقد ص 83.

(10) المرجع نفسه، ص 83.

(11) المرجع نفسه، ص 84.

(12) المرجع نفسه، ص 86.

على اتفاق»⁽¹³⁾. يتضح لنا من هذا القول أن العقاد اتخذ مسارا مختلفا في مفهومه للنقد يخالف فيه المفهوم كهدف له، أي إن التمييز بين جيد الكلام ورديئه، وذلك حينما أشار إلى «المزية» كهدف له، أي إن العملية النقد عملية أدبية هادفة، قائمة على أسس قارة وواضحة، إذ لا يقف هدف العملية النقدية عند هذا الحد فحسب، وإنما جعل من الطبيعة أيضا سبيلا لمقارنته بالنقد، وكأنها هي الأساس في تكوين منهجيته في النقد، إذ من المعلوم أن الطبيعة لا تهتم في عملها الانتقائي إلا بالأنواع الصالحة للبقاء، إذ لا تميز بين الأنواع المختلفة، الجيد منها والرديء، وإنما تتجه إلى الأنواع ذات المزايا، فتمنحها فرصة الحياة والاستمرار⁽¹⁴⁾، ومعنى هذا أنه إذا كان قانون الطبيعة يحكم البقاء للأقوى أو الأصلح، فكذلك النقد فهو يخلد الأعمال الأدبية ذات المزايا، في منحها خلودا واستمرارا على عكس الآثار الأدبية التي تفتقد لهذه المزايا. يؤول مفهوم العقاد السالف الذكر أيضا إلى تفاعل القوى المختلفة، وجعل المزية وقانون عمل الطبيعة مقياسا للعملية النقدية الهادفة، التي هي في إنتاج دائم ومستمر، لذا تراه يقارن بين الفنان والأنتى في نهاية التعريف.

ومن بين القضايا النقدية التي أولاها جماعة الديوان أهمية، نجد:

6.3 الوحدة العضوية:

نادوا بها سبيلا قارا لتطوير حركة الشعر المعاصر، والمعتقدات التقليدية التي كانت تنهض عليها القصيدة العربية القديمة، مما أضفى على القصيدة المعاصرة ديباجة حدثية تواكب العصر الراهن، فحرر الشعر من سلاسل الجمود والتقليد، فالوحدة العضوية إذن أحد المعامل التي اتخذها هؤلاء وسيلة لتجديد القصيدة حتى «تحمل إحساسا واحدا مهيمنا من بدايتها إلى نهايتها، فتصبح كالعصارة الخضراء التي تنتشر من الجذر إلى السائق إلى الأغصان، فتلون الشجرة كلها بلون واحد، وتحقق بذلك الكيان العضوي الذي يتكون من مجموعة من الخلايا، كل خلية تحمل داخلها من العناصر ما تحمله الخلية الأخرى، فتتمو القصيدة من داخلها نموا متدرجا حتى تصل إلى نقطة تجمع أخيرة أو ما يسمى بالأثر الكلي الموحد»⁽¹⁵⁾، أو قل مثل الكائن البشري الذي تتألف أعضاؤه بعضها بعض، فإذا ما افتقد عضو، اختل البناء العام أو تشوهت جماليته، والشاعر القادر على تلاؤم أجزاء القصيدة والتحامها دال على عظمة طاقاته الإبداعية التخيلية، التي تسعفه في رصف أجزاء نص القصيدة حتى ينتهي بها إلى بنية واحدة أو كتلة موحدة، تعبر عن مضمون تتفق عليه أجزاء النص الشعري بأكمله، أو كل واحد منه يسوق الآخر أداء وتعبيرا، حتى تكون عمل فني تكتمل فيه عناصره كما تكتمل أعضاء التمثال واللحن الموسيقي بأوزانه.

وقضية الوحدة العضوية ليست بالأمر الجديد، بل نادى بها النقاد القدماء (كالحاتمي): الذي يعد من علماء القرن الرابع الهجري، إذ شبه القصيدة الموحدة بالإنسان في اتصال

(13) إبراهيم الحايي، حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي، ص 62.

(14) ينظر، محمد مصايف، جماعة الديوان في النقد، ص 95-96.

(15) محمد زكي العشماوي، أعلام الأدب العربي الحديث واتجاهاتهم الفنية، ص 92.

أعضائه بعضها ببعض، وإذا ما انفصل واحد عن الآخر أصبح الجسم ذا عاهة تخون محاسنه وتعفي معالمه(16).

إلا أن العقاد يعد من أكثر النقاد حديثاً عن هذه القضية إلى جانب المازني وشكري، لأنه جعلها محورا رئيسا دار عليه نقده لشوقي، و«هو نقد يرد إلى اختلاف المنهجين عند شوقي والعقاد في تأليف القصيدة، فشوقي يؤلف قصائده على المنهج القديم القائم على وحدة البيت، والعقاد يرى أن تؤلف القصيدة على نهج جديد، هو نهج الوحدة العضوية النامية، وألح على توكيد هذا المعنى في الأذهان تارة بما يكتبه من نقد، وتارة بما ينظمه من شعر»(17). وكان شوقي يفتقد للترابط والوحدة في كتابته الإبداعية، مما أصاب القصيدة الشوقية بالتفكك، لأن القصيدة تحتاج إلى بناء داخلي متكامل وموحد.

(16) ينظر، عمر الدسوقي في الأدب الحديث، ص 260.

(17) شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط1، ص 160.